

رسالة

أبي بكر الأثرم
أحمد بن محمد بن هانىء

(بعد ٢٦٠هـ) رحمه الله

فيها:

النهي عن الكلام في الدين بغير علم
وبيان منزلة الإمام أحمد رحمه الله وما في موته
وموت العلماء من المصيبة على الأمة

التعريف بصاحب الرسالة

الاسم: أحمد بن محمد بن هانئ الطائي الإسكافي.

الكُنية: أبو بكر.

الشهرة: الأثرم. ـ تلميذ الإمام أحمد ـ.

الوفاة: (بعد ٢٦٠هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ.

ثناء العلماء عليه:

قال أبو بكر الخلال: كان الأثرم جليل القدر، حافظًا.

قال ابن أبي يعلى: جليل القدر، حافظ، إمام.

وقال ابن تيمية في «بيان تلبيس الجهمية» (٦/ ١٦٥): الأثرم من أعلم أصحاب أبي عبد الله، وأذكاهم، وأعرفهم بالحديث والفقه.

مصادر الترجمة:

«طبقات الحنابلة» (١/ ١٦٢)، و«تهذيب الكمال» (١/ ٤٧٦)، و«السير» (١٢/ ٦٢٣).

مجمل الرسالة:

هذه الرسالة أرسلها الأثرم رحمه الله إلى أهل ثغرٍ من ثغور المسلمين، وفيها الوصية بعدة أمور، ومنها:

- التَّحذير مِن علم الكلامِ وما فيه من الفتنة والشر.
- وبيان أهمية النصح للمسلمين.
- وما نزل على المسلمين من البلاء والمصيبة من موت الإمام أحمد رحمه الله.
- وبيان ما في موت علماء السنة والأثر من البلاء والمصائب.
- وبيان منزلة الإمام أحمد عند أهل العلم في وقته.
- وذكر جملة مِن الآثارِ عن السَّلف الصَّالح في الحثِّ على الاتباع، وذمِّ الكلام في الدِّينِ بغير علم.

مصدر الرسالة:

استخرجت هذه الرسالة من «طبقات الحنابلة» لابن أبي يعلى، وقد اعتمدت على نسخة خطية كتبت بخط جيد.

وقد قابلتها بالمطبوع (١/ ١٦٦).

صورة من مخطوط طبقات الحنابلة

۞ قال الأثرمُ رَحِمَهُ اللَّهُ - في أثناءِ كتابٍ إلى الثَّغر -:

أعاذنا اللهُ وإيَّاكم من كلِّ موبقةٍ، وأنقذنا وإيَّاكم مِن كلِّ مُهلِكةٍ، وسلمنا وإيَّاكم مِن كلِّ شبهةٍ، ومسَّكنا وإيَّاكم بصالحِ ما مضى عليه أسلافنا وأئمتنا.

كتابي إليكم - ونحن في نعمٍ متواصلةٍ -، نسألُ الله [ب/ ٣١] تمامها، ونرغبُ إليهِ في الزِّيادةِ مِن فضلِهِ، والعونِ على بلُوغِ رضاه.

١ - إن في كثيرٍ مِن الكلامِ فتنةً، وبحسبِ الرَّجلِ ما بلغ به مِن الكلامِ حاجتَه.

٢ - ولقد حُكي لنا أن فضلًا كان يتلاكن في كلامِه، فإن في السُّكوتِ لسعةً، ورُبَّما كان مِن الأمورِ ما يضيقُ عنه السُّكوتُ، وذلك لما أوجبَ اللهُ مِن النصيحةِ، وندبَ العلماء مِن القيامِ بها للخاصَّةِ والعامَّةِ؛ ولولا ذلك كان ما دعا إليه مِن الخُمولِ أصوبُ من دهرٍ قلَّ فيه من يُستراحُ إليه، ونشأ فيه مَن يُرغبُ عنه.

ونحن في موضعِ انقطاعٍ عن الأمصارِ، فرُبّما انتهى إلينا الخبرُ الذي يُزعِجُنا، فنحرَصُ على الصَّبرِ، فنخافُ وجوب الحُجَّةِ مِن العلمِ.

٣ - ولقد تبيَّن عند أهلِ العلمِ عِظمُ المصيبةِ بما فقدنا من شيخنا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل إمامنا ومُعلِّمنا، ومُعلِّمِ مَن كان قبلنا منذُ أكثر مِن ستِّين سَنة.

٤ - وموتُ العالمِ مُصيبةٌ لا تُجبَرُ، وثُلمةٌ لا تُسدُّ.

٥ - وما عالمٌ كعالمٍ، إنَّهم يتفاضلُون، ويتباينون بونًا بعيدًا.

٦ ـ فقد ظننتُ أن عدوَّ الله وعدوَّ المسلمين إبليسَ وجنوده قد أعدُّوا مِن الفتنِ أسبابًا انتظرُوا بها فقدَه؛ لأنه كان يَقمعُ باطِلهم، ويزهقُ أحزابَهم.

٧ ـ فكانت أوَّل بدعةٍ علِمتُها فاشية مِن الفتنِ المضِلَّةِ، ومن العمايةِ بعد الهُدى، وقد رأيتُ قومًا في حياةِ أبي عبد الله كانوا لَزِموا البيوت على أسبابٍ مِن النُّسكِ، وقلَّةِ علمٍ، فأكرمَهم الناسُ ببعضِ ما ظهرَ لهم مِن حُبِّهم للخيرِ، فدخلَهم العجب مع قلَّةِ العلمِ، فكان لا يزالُ أحدهم يتكلَّمُ بالأمرِ العجيب، فيدفعُ اللهُ ذلك بقولِ الشَّيخِ ـ جزاه الله أفضلَ ما جزى من تعلَّمنا منه ـ، ولا يكون من أحدٍ منهم من ذلك شيءٌ إلَّا كان سببَ فضيحتِهِ، وهتك ما مضى من سِترِهِ، فأنا حافظٌ مِن ذلك لأشياء كثيرة.

٨ ـ وإنما هذا من مَكايدِ إبليسَ من جنودِهِ، يقول لأحدِهِم: أنت أنت، ومَن مِثلك، فقُل، فقد قال غيرُك.

ثم يُلقي في قلبه الشَّيء، وليس هناك سِعَةٌ في علمٍ، فيُزيِّنُ عنده أن يبتدئَه ليشمت به، وإن كلَّ محدثةٍ بدعةٍ، وكلَّ بدعةٍ ضلالة، وكلَّ ضلالةٍ في النَّارِ.

٩ ـ وقد ظننتُ أنَّ آخرين [ب/ ٣٢] يلتمسون الشُّهرةَ، ويُحبون أن يُذكروا، وقد ذُكِرَ قبلَهم قومٌ بألوانٍ مِن البدعِ فافتضحوا، ولأن يكون الرَّجُلُ تابعًا في الخيرِ خيرٌ من أن يكونُ رأسًا في الشَّرِّ.

١٠ ـ وقد قال ابن مسعودٍ: اتَّبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتُم، كلُّ بدعةٍ ضلالة.

١١ ـ وقال: أيها النَّاسُ إنكم ستُحدِثون، ويُحدَثُ لكم، فإذا رأيتم مُحدثًا فعليكم بالأمرِ الأوَّلِ.

١٢ ـ وقال النبي ﷺ: «**البرَكةُ مع أكابرِكم**»(١).

١٣ ـ وقال ابن مسعودٍ: لا يزال النَّاسُ بخيرٍ مَا أخذوا العِلمَ عن أكابرِهم.

١٤ ـ وقال ابن عُمرٍ: كلُّ بدعةٍ ضلالةٍ وإن رَآها النَّاسُ حسنة.

١٥ ـ وقال النبي ﷺ: «**ألا هلكَ المُتنطِّعون**»(٢).

١٦ ـ وقال الصِّديق رضي الله عنه: أيّ أرضٍ تُقِلُّني؟ وأيّ سماءٍ تُظلِّني؟ إذا قلتُ في كتابِ الله مَا لا أعلم.

١٧ ـ وقال عليٌّ: ما أبردَها على الكبدِ؛ إذا سُئِلَ الرّجلُ عما لا يعلم: أن يقول: لا أعلم.

١٨ ـ وقال أبو موسى: من علَّمَه اللهُ علمًا فليُعلِّمه النَّاس، وإيَّاه أن يقولَ ما لا عِلمَ له به، فيصِيرَ مِن المُتكلِّفين، ويمرُقَ مِن الدِّين.

١٩ ـ وقال ابن مسعود: إذا سُئلَ أحدكم ما لا يعلم؛ فليُقرَّ، ولا يستحي.

٢٠ ـ وروى عن النبي ﷺ في أحاديث أنه قال: «**مَن أحدثَ حدثًا فعليه لعنةُ الله، والملائكةِ، والنَّاسِ أجمعين**»(٣).

---

(١) رواه ابن حبان (٥٥٩)، والحاكم (١/ ٦٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما. وإسناده صحيح.

(٢) رواه مسلم (٢٦٧٠) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٣) رواه أحمد (٩٩٣)، وأبو داود (٤٥٣٠)، والنسائي (٦٩١١و٦٩٢١)، والحديث صحيح.

=

٢١ ـ وفي بعضها: «**لا تجوزُ شهادةُ مُحدِثٍ في الإسلام**»(١).

٢٢ ـ وفي بعضها: أنه قيل: يا رسول الله ومَا الحدثُ؟.

قال: «**من قتل نفسًا بغيرِ نفسٍ، ومَن مثَّلَ مُثلة بغيرِ قَوَدٍ، أو ابتدعَ بدعةً بغيرِ سُنَّةٍ**»(٢).

فقرن ذلك بقتلِ النفسِ، ولعنة الله والملائكة.

٢٣ ـ وقال الشَّعبي: ما حدَّثوك عن رأيهم فألقِه في الحُشِّ.

٢٤ ـ وقال عُمر بن عبد العزيز: إياك وما أحدث المحدثون؛ فإنه لم تكن بدعةٌ إلَّا وقد مضى قبلَها ما هو دليلٌ عليها، وعِبرةٌ منها، فعليك بلزومُ السُّنة؛ فإنها لك بإذنِ الله عِصمةٌ، وإن السُّنةَ إنَّما سَنَّها مَن قد علِمَ ما جاءَ في خِلافِها مِن الخطأ والزَّللِ والحُمقِ والتَّعمقِ، وارض لنفسِك بما رضي به القومُ لأنفسِهم؛ فإنهم من علمٍ وقفوا، وببصرٍ ناقدٍ كفُّوا، ولَهَمُ على كشفِ الأُمورِ كانوا أقوى، [٣٢/ب] وبفضلٍ لو كان فيها أحرى، إنهم لهم السابقون، فلئن كان الهُدى ما أنتم عليه فقد سبقتموهم إليه، وإن قلتم حدثَ حدثٌ بعدهم، ما أحدثه إلَّا مَن اتبعَ غيرَ سبيلِهم، ورغب بنفسِهِ عنهم، ولقد تكلَّموا منه بما يكفي، ووصفُوا منه ما يشفي، فما

= وأصل الحديث في البخاري (١٨٧٠)، ومسلم (٣٣٠٦و٣٧٨٦) من حديث علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ ولكن فيه زيادة تخصيص الإحداث بالمدينة.

(١) رواه عبد الرزاق (١٥٣٦٢) عن عمر بن عبد العزيز بلاغًا عن النبي ﷺ.

(٢) في «المطالب العالية» (٢٩٨٨): أخبرنا جرير، عن عمرو بن قيس الملائي، عن أبيه، عن أمية بن يزيد الشامي، عن النبي ﷺ. وإسناده حسن، لكنه مرسل، أو معضل. اهـ

دونهم مَقْصر، ولا فوقهم مَحْسر، لقد قصَّرَ دونَهم أقوامٌ فجفوا، وطمحَ آخرون عنهم فغلوا، وإنهم مع ذلك لعلى هُدًى مستقيمٍ.

٢٥ ـ وقال القاسمُ بن محمد: لأن يعيشَ الرَّجلُ جاهلًا، خيرٌ له مِن أن يقولَ على الله ما لا يعلم.

٢٦ ـ [وقال ابن مسعودٍ: إن مَن العِلمِ إذ سُئِلَ الرَّجلُ عما لا يعلمَ أن يقول: اللهُ أعلم].

٢٧ ـ وقال ابنُ عمر: العلمُ ثلاثٌ: آية مُحكمةٌ، وسُنَّةٌ ماضيةٌ، ولا أدري.

٢٨ ـ وقال الشَّعبيُّ: لا أدري نصفُ العلم.

٢٩ ـ وقال الرَّبيع بن خُثيم: إيَّاك أن يقولَ الرَّجلُ: حُرِّمَ هذا، ونُهي عن هذا، فيقول الله له: كذبت.

٣٠ ـ وقال أحمد بن عبد الرحمٰن الحِميَريُّ: لَأن أردّهُ بعيِّهِ أحبُّ إليَّ مِن أن أختلقه.

٣١ ـ وقال الشَّعبيُّ: والله ما أُبالي، سئلتُ عما أعلم، أو عما لا أعلم، يقول: إنه يَسهلُ عليَّ أن أقول: لا أعلم.

٣٢ ـ وقال عبد الله بن عتبة بن مسعودٍ: إنَّك لن تُخطئ الطريق ما دُمت على الأثرِ.

٣٣ ـ وقال ابنُ عبَّاسٍ: عليك بالاستقامَةِ، وإيَّاك والبدع، والتبدُّع.

٣٤ ـ وقال معاذُ بن جبل: إياكم والتَّبدُّع، والتنطُّع، وعليكم بالعتيق.

٣٥ ـ وقال ابنُ عباسٍ: لا تضربوا كتابَ الله بعضَه ببعضٍ، فإن ذلك يوقعُ الشَّكَّ في قلوبكم.

٣٦ ـ وقال إبراهيم: ما جعلَ اللهُ في هذه الأهواءِ مثقالَ ذرَّةٍ مِن خيرٍ، وما هي إلَّا زينةٌ مِن الشيطان، وما الأمرُ إلَّا الأمر الأول.

٣٧ ـ وقد جعلَ اللهُ على الحقِّ نورًا يكشَفُ به العلماءُ، ويصرَفُ به شبهات الخطأ، وإن الباطِلَ لا يقومُ للحقِّ، قال الله جلَّ وعزَّ: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الأنبياء: ١٨].

فهذه لكلِّ واصفٍ كذب[1] إلى يومِ القيامةِ، وإن أعظم الكذبِ أن تكذِبَ على الله.

٣٨ ـ وإن أبا عبد الله وإن كان قريبًا موتُه؛ فقد تقدَّمت إمامته، ولم يُخلِّف فيكم شبهَه، وإنَّما أبقاه اللهُ لينفعَ به، فعاشَ ما عاش حميدًا، وماتَ بحمدِ الله مغبوطًا، يشهد له خيارُ عبادِ الله الذين جعلهم الله شهداء في أرضهِ، ويعرفون [٣٣/أ] له ورعه وتقواه، واجتهاده وزُهده، وأمانته في المسلمين، وفضل علمه.

٣٩ ـ ولقد انتهى إلينا أن الأئمَّةَ الذين لم نُدركهم كان منهم من ينتهي إلى قولِه، ويسأله، ومنهم مَن يُقدِّمُه ويصِفُه.

ولقد أُخبرتُ أن وكيعَ بن الجرَّاحِ كان رُبَّما سألَه.

وأن عبد الرحمٰن بن مهدي كان يحكي عنه، ويحتجُّ به،

(١) كذا في الأصل. ولعل الصواب: (كاذب).

ويقدِّمه في العلمِ ويَصِفُه، وذلك نحو ستين سَنة.

وأُخبرتُ أن الشَّافعيَّ كانت أكثرُ معرفتِه بالحديثِ مما تعلَّم منه.

ولقد أُخبرتُ أن إسماعيلَ ابن عُليَّةَ كان يهابه.

وقال لي شيخٌ ـ مرَّةً ـ: ضحِكنا مِن شيءٍ وثم أحمدُ بن حنبل، فجئنا بعد إلى إسماعيل فوجدناه غضبانًا، فقال: تضحكون وعندي أحمد بن حنبل؟!

وأُخبرتُ أن يزيد بن هارون ذكره فبكى.

وأُخبرتُ أن يزيد عادَه إلى منزلهِ.

وأُخبرتُ أن أبا عاصمٍ قال: ما جاءنا مثلَه.

وكم بلغنا مِثلَ هذا.

وذكر تمام الرِّسالة بطولها.

